الفاتحة

أم القرآن وسر الصلاة

تفسير وتأمل

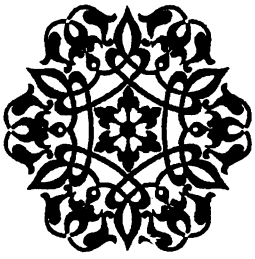

محاضرات لمعالي الشيخ

صالح بن عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

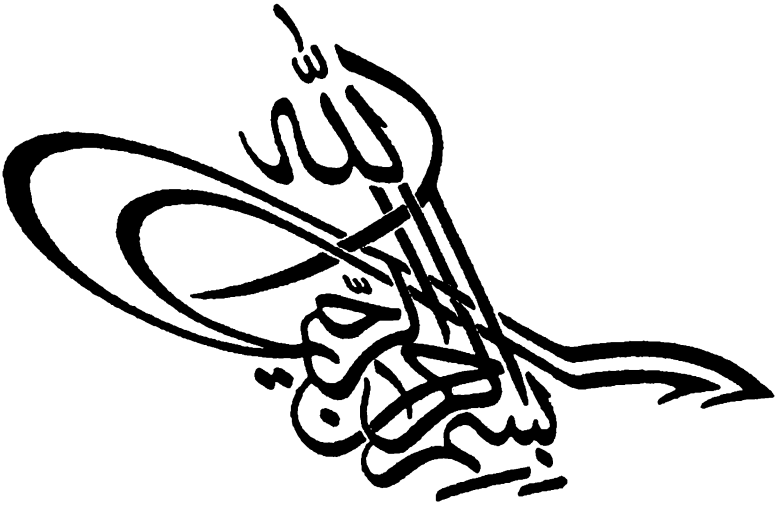

الطبعة الأولى

رقم الإيداع : ١١١٦٧ / ٢٠٠٧

مكتبة ابن عباس

منيه سمنود - جمهورية مصر العربية

شارع الثورة بجوار سنترال الدولية

هاتف : ٠٥ ٠٦٤٩٣٢٥ فاكس : ٠٤ ٠٢٩١٦٣٢٤

محمول : ٠١٠ ١٦٩٧٦٧٦

مُقَدِّمَة

الحمدُ لله ذي المحامدِ كلِّها ، وذي الخيرِ كلِّه ، وذي الفضائلِ كلِّها ، الحمدُ لله الذي لـــه الأسماءُ الحسنى ، وله النعوتُ العُلا .

الحمدُ لله الذي له كلُّ المحامدِ على وَجْهِ الكمالِ .

الحمدُ لله الذي هدانا للإسلامِ ، ووفَّقنا للخير الذي نحن فيه من الالتزام بكتابِهِ ، وبسنةِ رسولِه ﷺ ما استطعنا .

الحمدُ لله الذي يُحمد على الخيرات ، وهو المحمودُ على كل حالٍ .

وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُ اللهِ ورسولُه ، وصفيُّه وخليلُه ، صَلّى الله وسلَّمَ عليه ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين ، أما بعد :

فأسألُ اللهَ - جلَّ وعلا - أن يجعلَني وإيَّاكم مِن المنتفعينَ بالقرآنِ ، المتدبرين لـــه ، الذين يَسُرَ عليهم قراءةً، وتلاوةً ، وحفظًا وتدبرًا وفهمًا ، وأسأله - جلَّ وعلا - أن يُفَهِّمَنَا منه ما به تَقَرُّ أعْيُنُنَا ، وتَنْشَرِحُ به نفوسُنا ، ثم إن أولَ القرآنِ العظيمِ فاتحةُ الكتابِ ، وأولَ ما يُفَسَّرُ من القرآنِ هذه السورةُ العظيمةُ ، فتفسيرُها مع كونه محتاجًا إليه لفهمِ سبعِ آيات من القرآن ، فهومحتاج إليه من جهة أن الصلاةَ التي هي أعظمُ أركانِ الإسلامِ العمليةِ ، وإنما يَعْظُمُ أجرُها لِمَنْ تدبَّر كتابَ الله - جلَّ وعلا - الذي يتلوه فيها ، وقال ما يقوله في صلاته عن علمٍ واعتقادٍ وفهمٍ .

أسماء فاتحة الكتاب :

فاتحةُ الكتابِ سمَّاها النبيُّ - عليه الصلاة والسلام - فيما ثبت في الصحيح أنها القرآنُ العظيمُ ، والسبعُ المثاني ، فقال - عليه الصلاة والسلام - : « فاتحةُ الكتابِ هي السبعُ المثاني ، والقرآنُ العظيمُ الذي أوتيتُه » [1].

وفاتحةُ الكتاب افتُتِحَ بها القرآنُ ، وتُسَمَّى أمَّ القرآنِ ، وأمَّ الكتابِ [2] ، وذلك لأن هذا الكتابَ يُفْتَتَحُ بها ، ولأن الصلاةَ تُفْتَتَحُ بها ، كما ذَكَرَ هذا التعليلَ « البخاريُّ » - رحمه الله تعالى - في « صحيحه » .

وكذلك لأنَّ معانيَ القرآنِ جميعًا ، ترجِعُ إلى ما ذُكِرَ في هذه السورةِ العظيمةِ ، فهي أمُّ القرآنِ باعتبارِ أنَّ معانيَ

---

(١) أخرجه « البخاري » في « صحيحه » في (كتاب التفسير -باب ما جاء في فاتحة الكتاب) (٤٤٧٤)، من حديث «أبي سعيدِ بن المُعَلَّى» - رضي الله عنه - . انظر « فتح الباري » (٨ : ١٥٧) .

(٢) انظر الكلام على أسماء سور الفاتحة في « تفسير الطبري » (١: ١٠٥)، و«مجموع الفتاوى » (١٤: ٥) ، و«جمال القراء » (١ : ١٧٦) ، و« تفسير التحرير والتنوير » (١ : ١٣١) .

القرآنِ ترجع إلى المعاني التي في هذه السورة ، وهذا يظهر لك واضحًا جليًا عند الشروع بفهمها ، أو بعدَ الانتهاءِ من تفسيرِها .

عظم شأن الفاتحة :

هذه السورةُ العظيمةُ ثبت في « الصحيح » [1] أن النبي ﷺ قال : « قال اللهُ - تعالى - : قَسَمْتُ الصلاةَ بَيْني وبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ، فنصفُها لي ، ونِصْفُهَا لِعَبْدِي ، ولِعبْدِي ما سَأَلَ » ، ويعني بالصلاةِ فاتحةَ الكتابِ .

فهي بين العبدِ ، وبينَ رَبِّه في صلاتِهِ ، وهذا يُنْبِئُ عن عِظَمِ شأنِها في الصلاة .

قالَ النبيُّ - عليه الصلاة والسلام -: « قال اللهُ : فإذا قالَ عَبْدِي ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، قالَ اللهُ : حَمِدَنِي عَبْدِي ، وإذا قالَ العبدُ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ، قالَ الله - جلَّ وعلا- : أَثْنَى عليَّ عَبْدِي ، وإذا قال العبدُ في صلاتِهِ : ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ ، قال اللهُ - جلَّ وعلا - : مَجَّدَنِي عَبْدِي ، فإذا قال العبدُ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ

---

(١) أخرجه « مسلم » في « صحيحه » في (كتاب الصلاة - باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ..) (٣٩٥) من حديث « أبي هريرة » ، رضي الله عنه.

انظر « مجموع الفتاوى » (١٤ : ٤) ، و « جمال القراء » (١ : ٤٣١) .

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، قالَ اللهُ : هذه بَيْنِي وبينَ عَبْدِي ولعبدِي ما سأل ، فإذا قال العبدُ : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٥ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ قال الله - جل جلاله - : هذه لِعَبْدي ، ولِعَبْدي ما سَأَلَ » .

وهذا الذي وُصِفَ بهذا الحديثِ ، لا شكَّ أنه متفرغٌ عن فَهْمِ هذه السورةِ ، وفهمِ معانيها ، وتَدَبُّرِ آياتِها

..... **فليس سواءً عالمٌ وجهولُ**

لا يستوي من يتلو هذه الآيات من سورةِ الفاتحةِ ، وهو يعقلُ معانيها ، ويفهمُ دَلالاتِها مع مَنْ يُرَدِّدُهَا بلسانه ، وقلبُه مشغولٌ عنها ، أو جاهلٌ بها ، وما أعظمَ أن تكونَ الصلاة مناديًا لله - جلَّ وعلا - بهذه السورة العظيمة ! هذه السورةُ هي فاتحةُ الكتابِ ، وهي السبعُ المثاني ، كما ذَكَرَها النبيُّ ﷺ في هذا الحديثِ ، وبها فسَّرَ قولَه - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [1] فالسبعُ المثاني

---

(١) (الحجر : ٨٧) .

فُسِّرَتْ بأنها الفاتحةُ كما فَسَّرَها النبيُّ ﷺ ، وكذلك فُسر القرآنُ العظيمُ مع السبعِ المثاني معاً بأنها فاتحة الكتاب ، كما مرَّ معنا في حديث « أبي سعيدِ بنِ المُعَلَّى » - رضي الله عنه - ، الذي رواه « البخاريُّ » [1] وغيرُه .

(١) تقدم تخريجه ص (٧) .

البُداءة بالاستعاذة والبسملة عند تلاوة الفاتحة :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

هذه السورةُ مبتدأةٌ بالبسملة ، وبما أَمَرَ اللهُ - جلَّ وعلا - به القارئَ للقرآنِ أن يبدأَ قراءَتَهُ بالاستعاذة باللهِ منَ الشيطانِ الرجيمِ ، فكانَ لزاماً عليه أن يفهمَ ، وأن يَعْلَمَ معنى الاستعاذةِ باللهِ - جلَّ وعلا - من الشيطانِ الرجيمِ ، قال - سبحانه - : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (١) .

(١) (النحل : ٩٨) .

صيغ الاستعاذة :

يبتدئُ التالي للقرآن في الصلاة ، وفي خارج الصلاة بقولـــه : « أعوذُ باللهِ منَ الشيطانِ الرجيمِ » ، وإن زاد صفة من صفات الله - تعالى - تنـــزيهًا وتعظيمًا لـــه ، كأن يقول : « أعوذُ باللهِ السميعِ العليمِ من الشيطانِ الرجيمِ » فلا ينسب إلى الجهل ، فهذا قد جاءت به السنةُ ، وكُلٌّ واردٌ ، وكما قال الشاطبي[1] :

.....وإن تَـــزِدْ لِرَبِّكَ تنزيهًا فَلَسْتَ مُجَهلاً

يعني : إذا أتيتَ في الاستعاذةِ بأنواعِ الصفاتِ مثل : « أعوذُ باللهِ السميعِ العليمِ من الشيطانِ الرجيمِ » [2] ، ولو قلت : « أعوذُ باللهِ الحيِّ القيُّومِ من الشيطانِ الرجيمِ » « فلست مجهلاً » فالكلُّ سائغٌ ، والأحسنُ الإتباعُ ، وقد جاء في هذا صفتان :

---

(١) في « حرز الأماني » ٨ والبيت بتمامه :

على ما أتى في النحل يُسْرًا ، وإنْ تَزِدْ لِـــرَبِّكَ تـــنـــزيهًا فَلَسْتَ مُجَهِّلاَ

(٢) رواه أصـــحاب السنن الأربعة ، و « أحمد » عن « أبي سعيد الخدري » - رضي الله عنه - بإسناد جيد ، وقال الترمذي : هو أشهر حديث في هذا الباب .

انظر « النشر في القراءات العشر » (١ : ٢٤٩) في هذا المقام كلام طيب .

الأولى : « أعوذُ باللهِ منَ الشيطانِ الرجيمِ » [1] وهي التي جاء بها القرآنُ .

والثانية : ما ثبتت بها السنةُ : « أعوذُ باللهِ السميعِ العليمِ من الشيطانِ الرجيمِ منْ هَمْزِهِ ونَفْخِهِ ونَفْثِهِ » [2] .

و(همزُ الشيطانِ) : الموتةُ ، يعني الجنون ، وهو نوعُ مرضٍ يأخذُ المرضَى بالخنق ، و(نَفْخُ الشيطانِ) : الكِبْرياء ، و(نَفْثُ الشيطانِ) الشِّعرُ الذي يُراد به الباطلُ ، وهذا مما ثبتَ في السنةِ .

(١) هذا هو المختار ، وهو المأخوذ به عند عامة الفقهاء كأبي حنيفة والشافعي وأحمد ، وقد ورد النص بذلك في الصحيحين وغيرهما . انظر « جمال القراء » (١ : ٢٧١) ، و« النشر في القراءات العشر » (١ : ٢٤٣ - ٢٤٦) .

(٢) أخرجه « أبو داود » في « سننه » في (كتاب الصلاة -باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك) (٧٧٥) ، و « الترمذي » في « جامعه » في (كتاب الصلاة عن رسول الله ﷺ - باب ما يقول عند افتتاح الصلاة) (٢٤٢) ، من حديث « أبي سعيد الخدري » ، رضي الله عنه .

وانظر « النشر في القراءات العشر » (١ : ٢٥١) .

معنى الاستعاذة :

يقولُ التالي للقرآن : « أعوذُ باللهِ منَ الشيطانِ الرجيمِ » ، ومعنى « أعوذُ » : أعتصمُ وألْتَجِئُ وأتحرَّزُ « باللهِ » معبوديَ الحقِّ الذي لا أعبدُ سواه ، ولا أفوضُ أمري إلا إليه « من » شرِّ « الشيطانِ الرجيمِ » الذي رُجِمَ ورُمِيَ وأُبْعِدَ وطُرِدَ من رحمةِ اللهِ - جلَّ وعلا - ، من شياطينِ الجنِّ ، ومن شياطينِ الإنسِ ، أن يصيبوني بأذًى في نفسي ، أو بأذًى ونقصٍ في ديني ، أو أنْ يصرفوني عن الالتزامِ بأمرِ ربِّي ، أو أن يحملوني على الإقبالِ على ما لا يُحِبُّ إلهيَ ومولايَ الذي أعبُده .

فقول الله - تعالى- : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ [1] ، وقوله

---

(١) (المؤمنون :٩٧ ، ٩٨) .

- جلَّ وعلا - : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [1] ، وقولـه - سبحانه وتعالى- : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [2] .

كلُّ هذا معناه أَلْتَجِئُ وأعتصمُ وأَتَحَرَّزُ من شرِّ الشيطانِ أن يصيبَني بشيءٍ على النحو الذي وَصَفْتُ .

إذن فمعنى العياذِ ، هو الالتجاءُ والاعتصامُ والتحرزُ بالله ، فتلحظ أنك عندما تقول : « أَعُوذُ » ، معنى ذلك أنك تخلي القلبَ في كفِّ الشر عنكَ ، من كلِّ ما سوى اللهِ -جلَّ وعلا- ، وتعلمُ أنَّ الذي يكفُّ شرَّ الشيطانِ ، وشياطينَ الجنِّ والإنسِ عنكَ إنما هو اللهُ ، جلَّ وعلا.

« أعوذُ باللهِ منَ الشيطانِ الرجيمِ » مناسبتها للتلاوة أنَّ التاليَ حين يتلو يحضُرُه الشيطانُ لِيَصْرِفَهُ عن تدبُّرِ الآيِ ، لِيَحْمِلَهُ على الوَسْوَسَةِ ، لِيَجْعَلَهُ غيرَ ملتزمٍ بما تَلا ، وكلُّ هذا وأمثاله من شرورِ الشيطانِ ، التي يُستعاذُ باللهِ - جلَّ وعلا- منْها .

---

(١) (الفلق : ١) .

(٢) (الناس: ١) .

« أعوذُ باللهِ »، « باللهِ » يعني : بالمعبودِ الحقِّ ، الذي ليس ثَمَّ معبودٌ حقٌّ إلاَّ هوَ - جلَّ وعلا - ، بمعبودي الذي أعبدُهُ ، وأَتوَجَّهُ إليه في كلِّ عِبَادَتِي .

وفي ضمنِ ذلك معاني الرُّبوبية لَه - جلَّ وعلا - ، الذي أفوضُ أمري إليه ، وأتوكلُ عليه ، وأعتصمُ به ، وأطلبُ الخيرَ منه ، وأطلبُ البعدَ عن الشرِّ منهُ ، وهذا هو اللهُ - جلَّ وعلا - الذي بيدِهِ ملكوتُ كلِّ شيءٍ .

الاستعاذة بغير الله شرك :

« أعوذُ باللهِ منَ الشيطانِ الرجيمِ » فالمستعاذُ به هو اللهُ - جلَّ وعلا - وحدَهُ، والاستعاذةُ عبادةٌ من العباداتِ ، ولكنَّها عبادةٌ قلبيةٌ ، لا تَنْـــزلُ إلاَّ باللهِ - جلَّ وعلا - ، فلا تجوزُ الاستعاذةُ بغيرِ اللهِ - جلَّ وعلا - ، ومَنِ استعاذَ بغيرِ اللهِ - جلَّ وعلا - ، فقد أَشْرَكَ ؛ لأنَّ اللهَ - جلَّ وعلا- هو الذي يَحْمِي من الشرِّ ، وهو الذي يُفيضُ الخيرَ ، ويمنعُ الشرَّ ، قال - جلَّ وعلا - : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] ، وقال - جلَّ وعلا - في الآية الأخرى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2] ، وقال - تعالى - : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن

---

(١) (الأنعام : ١٧) .

(٢) (يونس : ١٠٧) .

رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١) .

فالذي يمنعُ الشرَّ عن العبدِ ، هو اللهُ - جلَّ وعلا - ، والذي يفيضُ الخيرَ على العبدِ هو اللهُ - جلَّ وعلا - ، وأعظمُ أهلِ الشرِّ شَرًّا على العبدِ المؤمنِ الشيطانُ الرجيمُ ، الذي هو إبليسُ وجنودُهُ من الجنِّ ومن الإنسِ ؛ لأن أعلى وأغلى ما عند العبدِ المؤمنِ في هذه الحياةِ أن يستقيمَ على الإسلامِ ، ولا يمكن أن يستقيمَ على الإسلامِ ، إلا أن يكونَ متحصِّنًا متحرِّزًا من الشرورِ التي يصيبُه بها ، ويعتدِي عليه بها الشيطانُ من الإنسِ ومِنَ الجنِّ .

فلذا يستعيذُ المرءُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ .

---

(١) (فاطر : ٢) .

معنى « الشيطان » في لغة العرب :

قال أهلُ العلمِ : إن « الشيطانَ » مأخوذٌ من « الشَّطْنِ » ، وهو البُعْدُ ؛ لأن « الشيطان » يطلقُ في اللغة على البعيدِ عن الخيرِ ، فكلُّ بعيدٍ عن الخيرِ يقال لـــه : « شَيْطَانٌ » [1] ، أو البعيدُ عما عليه أجناسُهُ ، ولهذا قيل لإبليس : إنه « شيطان » ، وإذا أُطْلِقَ لفظُ « الشيطان » فإنه يدخلُ فيه دخولاً أَوَّلِيًّا « إبليسُ »، و « الشيطانُ » يَشْمَلُ شيطانَ الإنسِ ، وشيطانَ الجنِّ ، وذلك لأن شيطانَ الإنسِ قد بَعُدَ عن الخيرِ ، وشيطانَ الجنِّ كذلك بعيدٌ عن الخيرِ ، ومما يَدُلُّ له - كما قال المفسرون - ، قولُ الشاعر [2] :

---

(١) قـــال « الفيومي » في « المصباح المنير » (مادة شطن) : « وفي الشيطان قولان : أحدهما : أنه من (شَطَنَ) إذا بَعُدَ عن الحق أو عن رحمة الله فتكون النونُ أصليةً ، ووزنـــه (فَيْعالٌ) وكلُّ عَاتٍ متمردٍ من الجنِّ والإنسِ والدوابِّ فهو (شَيْطَانٌ) . ووَصَفَ أعرابيٌّ فرسَهُ فقال : كأنه (شَيْطَانٌ) في (أُشْطَان) .

والقـــول الـــثاني : أن الـــياءَ أصليةٌ والنونَ زائدةٌ عكسُ الأوَّلِ وهو من (شَاطَ) (يَشِيطُ) إذا بَطَلَ أو احْتَرَقَ فوزنه (فَعْلانٌ) . » .

(٢) الشاهد فيه أن « الشيطان » نونه أصلية . وهذا البيت لـــ « أمية بن أبي الصلت » يصف سليمان بن داود ، عليهما السلام . أنه كان يوثق بالقيد كلَّ شيطان يعصيه. والبيت في «تفسير ابن كثير» (١: ١١٥) و«الدر المصون» (١: ١٠) ، و« لسان العرب» (شَطَنَ ١٣ : ١٣٩) . عكاه : شدَّه بالوثاق وقَيَّدهُ .